" القول الظني بين اللهجية العربية التراثية و اللهجية العربية الحداثية -مقاربة في التداولية التأريخية "

الأستاذ المساعد الدكتور محمد جعفر العارضي
رئيس قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة القادسية –
العراق

الملخص :

على الرغم من وجود مجموعة من الأفعال التي تستعمل في المنظومة الكلامية العربية للدلالة على الظن ، فتعمل النصب في مفعولين أصلهما المبتدأ و الخبر ؛ غير أنَّ المنظومة النحوية العربية تستعمل فعل القول للدلالة على الظن فتعمله عمل الفعل الذي ينصب مفعولين ، و قد كانت اللهجية العربية في تعاطيها مع فعل القول و إجراءه مجرى الظن و ضعت له مجموعة من الشرائط أو السياقات من قبيل الاستفهام ، و الخطاب ، ... .

أمَّا بنو سُليم فيجرون القول مجرى الظن مطلقا . و هذا الاستعمال المفارق للاعتياد التداولي العربي و المؤسس لتداولية مخصوصة ببني سُليم يستلزم موقفا تحليليا مفسرا . مع لحاظ أنَّ التحليل المفسِّر ينبغي أن يتخطَّى المقولة النحوية إلى المقولة الدلالية ؛ ذلك بأنَّ التداول السُّلمي لفعل القول في حقيقة الأمر لا يقتصر على المعطيات النحوية بل يشتمل على معطيات دلالية تواصلية ، و لعلَّ المعطيات الدلالية هي ما تقف وراء هذه الخاصة الكلامية السُّلَمية .

و ما نجده في التداولية العربية الحديثة من استعمال لفعل القول هو انصرافه مطلقا أيضا إلى الدلالة على الرأي و الاعتقاد ، من قبيل قولهم : " أريد قولك " ، و ما هو بمعناها ؛ ما مثَّل موقفا تداوليا فكريا يوسِّع من مظان التعبير عن الرأي في المنظومة الكلامية ؛ ما يمثِّل أيضا ميلا نحو التداول الفكري ، و السعي نحو الاحتواء الدلالي المتمثِّل في صياغة فعل القول صياغة ظنية احتمالية بعيدا عن المعطيات النحوية الشكلية المتعلِّقة بنصب المفعولين .

و يمكن أن يكون المغزى وراء هذا التوظيف توسيع دائرة الظن ، و كأنَّ المنظومة الفكرية التي تحكم تفكير هذه الجماعة اللغوية منظومة مرنة تمتاز بمظاهر الانفتاح و التنوع ، و تؤكِّد الرأي و الرأي الآخر . مع لحاظ الأثر البيئي في مثل هذه الخاصَّة الكلامية . من دون أن يغيب عنَّا في سياق هذه المقاربة ما يمكن أن يظهر من إتجاه مادي في تفسير هذا الحدث الكلامي .

و من جهة أخرى فإنَّ ذلك قد يشير إلى النزعة العقلية التي تميل إلى التعقّل و قراءة المسائل قراءات متنوعة قبل أن يُقطع بها . و كذلك يشير إلى تنوع الآليات و التقنيات التي تُعتمد في طرائق التفكير و النظر في الأمور إلى الحد الذي صار القول بجميع فعالياته و مظاهره رأيا و تفكيرا و اشتغالا عقليا . و كأنَّنا أمام جماعة لغوية عقلية أكثر من كونها عاطفية .

المقدَّمة :

تتحقَّق النفعية اللغوية التي لا تنفصل عن الخطاب الأسلوبي الاختياري ذي الآفاق النصية من خلال التكوُّن النصي المنتج للمعنى على نحو من التواصلية التأثيرية بين المتكلم و السامع بمعونة السياق و آفاقه التعددية .

و هذا يأتي ليحقق دراسة تواصلية للمعنى تتخذ من عناصر الخطاب اللغوي حقلا جمعيا تكامليا يتحرَّك في المنطقة اللغوية بين المتكلم بفعله الكلامي ، و السامع بفعله الافتراضي مرورا بمعطيات السياق كلِّها .

يقوم هذا البحث على الواقع اللغوي التداولي من جهة ، و النظر اللغوي التداولي المنهاجي من جهة أخرى . و قد اتخذ من " القول الظني و إجراء فعل القول مجرى الظن " في

التكوين النحوي في محاولة للنظر في هذه التداولية الحديثة ذات الأصول التراثية نظرا دلاليا تحليليا ينحو منحى فكريا موسَّعا .

و في هذا السياق وجدت أنَّ قراءته ينبغي أن تكون قراءة ذات آفاق نصيَّة تقوم على " القصدية " التواصلية ، و ما يصاحبها من تقنيات تركيبية و دلالية من جهة ، و آفاق اجتماعية و معارفية من جهة أخرى تتساوق مع النظر اللغوي التداولي السياقي .

و لعلِّي أجد في الحل التداولي ما يؤسس إلى فهم منظومة " القول الظني " كما أرادها المتكلِّم القصدي ، الحل التداولي لهذه المنظومة مكانا و زمانا و غايات . و ذلك كلُّه يأتي من خلال التفكيك لشبكة المعنى التواصلي اعتمادا على المنظومة المعارفية / السياقية الموسَّعة .

المنهج التأريخي و التداولية الحديثة :

ما يدعو إلى النظر التحليلي في ضوء اللغوية النفعية التي تضع الحدث الكلامي و الاختيار الأسلوبي في إطاره التفاعلي المطلوب من جهة ، و تضعه غير بعيد عن المنظومة التأريخية من جهة ثانية ؛ أنَّ ذلك يحقِّق مقاربة ((جميع الحالات الموضوعية لشؤوننا ، و جميع العلاقات الذاتية مع الأفراد و المجتمع ، و مع تأريخ الجنس البشري ، قائم على أساس لغوي إن أراد أن يكون له معنى)) [1] . ناهيك عن أنَّ منظري التداولية قد اشتغلوا في ضوء ذلك ؛ إذ إنَّه ((تجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلَّمة عامة مشتركة ، مفادها أنَّ فهم الإنسان لذاته و لعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة)) [2] في إطارها الفكري ؛ ذلك بأنَّ التداولية تقوم في طبيعتها المنهاجية على عدم تجاهل أيَّة ظاهرة تعبيرية ، أو عقلية ، أو موقف يتضمَّن إشكاليات ذات منطلقات و مطالب تقوم على الاختلاف [3] .

و التداولية (**Pragmatics**) أو البراغماتية يعبَّر عنها أيضا بالتبادلية ، و الاتصالية ، و النفعية ، و الذرائعية ، و المقصدية ، و المقامية [4] ، و السياقية [5]. و يعود تطور البحث التداولي إلى طائفة من العلماء الفلاسفة / اللسانيين منهم (أوستن ، و سيرل ، و جرايس ، و موريس ، و فيرشون ، و كاترين أورشيوني) [6] .

و إذا كانت ((قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي و التعرُّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي ، و تصير التداولية ... علم الاستعمال اللغوي)) [7] ؛ فإنَّ دراستها تقوم على جملة من " القوانين الخطابية الضمنية " ، و " الاستلزام الحواري " بين المتكلِّم و المخاطب ، و " قصدية " المتكلِّم في الإنجاز و التأثير المعتمدين على التوظيف اللغوي [8] . من خلال ((استخراج شروط الإبلاغ اللساني)) [9] . و هذا ما يجعل التحليل التداولي تحليلا لمقاصد المتكلِّم اعتمادا على المعاني المضمَّنة في الخطاب الكلامي ، و اعتمادا على استحضار المفاصل المسكوت عنها في الحوار ، وصولا إلى قصدية الفعل الكلامي ، و ((اعتماد التقابل بين نظام اللغة و استعمال اللغة أو عملها)) [10] .

و ينبغي التعاطي مع التداولية بلحاظ أنَّها منهج لدراسة الحدث الكلامي ، و بلحاظ أنَّها واقع لغوي ، إذ تأتي التأكيدات ((في مجال التداولية حول التفاعل الاجتماعي و تأثيرات الألفاظ أو التعبيرات المستخدمة من شخص إلى آخر التي يمكن إرجاءها إلى مرجعية الأفراد و ثقافتهم و واقعهم البيئي الذي ينتمون إليه)) [11] . و من هنا فإنَّ ما حدث في اللهجية الحديثة أن حدثت تغيرات صوتية ، و تعطيل دلالي ؛ ذلك بأنَّ المتكلم صار يتعاطى مع دليل لفظي واحد لكل معنى ، ما أحدث انحسارا دلاليا و عدم توظيف للثراء اللغوي الذي تمتلكه العربية على المستوى الدلالي . و مرد ذلك إلى أنَّ الإنسان اليوم إنسان مادي يبتعد عن المعطيات الروحية و المعنوية ؛ فقد تحولت اللغة بين يديه إلى أداة للتواصل ، أداة من الأدوات التي يحقق بها حاجاته اليومية ، في حين كان الإنسان التراثي إنسان يعيش باللغة جميع عوالمها فيهتم بها أيَّما اهتمام فهو إنسان جمالي . و من ثم فإنَّ المنهج التأريخي يحقق وقوفا على ثراء اللغة و إبداعها و جمالها .

و لعلَّنا بالمنهج التأريخي نستطيع التدليل على عدم ابتعاد اللهجية التداولية المعاصرة عن العمق التأريخي للعربية من خلال الكشف عن الامتداد التأريخي لهذه الخصيصة الصوتية أو تلك ؛ إذ نقف على العمق التأرخي لكثير من التغيرات الصوتية ما يدلل على صلة معمَّقة بين الواقع اللغوي التداولي و التراث اللغوي .

و أهم من ذلك أنَّ المنهج التأريخي سيكشف عن الثراء الدلالي الذي تتمتَّع به العربية من خلال الموازنات التي تحدث ، إذ يظهر جليا أنَّ جمالية كبرى ضاعت . و عند مزوالة البحث التأريخي أو البحث في ضوء معطيات المنهج التأريخي سنسحب تدريجيا بعضا من الألفاظ التي تعطَّلت إلى واقع الاستعمال التداولي ، و كلَّما كثرت الأبحاث كثرت الألفاظ التراثية المستقدمة ؛ فنكون أمام منهج تأريخي يقدِّم خدمة كبرى للعربية من خلال إحياء استعمال طائفة من ألفاظها . و جعل الباحث يقف عن كثب على الواقع اللغوي التراثي المكتنز بالثراء الدلالي ... و ذلك كلُّه يدفع نحو الانتهاء عمليا إلى علو اللهجية التراثية ، وجماليتها بالموازنة باللهجية الحداثية . و اللغويون التراثيون عندما منعوا البحث في اللهجات المتطورة المتغيرة ضيَّعوا هدفهم في الحفاظ على العربية العالية ؛ ذلك بأنَّ الموازنات تجعل المتكلِّم ينحاز تدريجيا إلى اللهجية التراثية ، و إلى اللغة العالية على المستوى الدلالي . و يظهر أنَّ المنع كان بلحاظ نحوي فخسرت العربية بهذا المنع تواصل المتكلمين مع الثراء و التنوع الدلالي الرائع الذي تتمتع به .

و غاية ما يمكن الوصول إليه في هذه المقاربة التداولية الفكرية هو التمثُّل الحضاري لتقنيات المنهج التأريخ و نتائجه المتوخاة من خلال التطلُّع إلى خلق لغوية تداولية كمالية تتخذ من اللهجية التراثية معينا و أفقا رحبا للاستلهام الجمالي التأثيري لمظاهر اللغة بنصوصها و ألفاظها . و هذا يأتي في سياق أنَّه ((ما كانت اللغة لتنفك عن إبانة الموجود الثقافي الذاتي العتيد و الحديث و تشكيل هوية ثقافات الأجناس البشرية مما ينتج عن هذه المراودة مجال ابستمولوجي جديد منغرس الجذور في بنية معرفية متناحرة مع البنية العتيدة ، و هكذا يعني أنَّ تغييرا جذريا حاسما قد طرأ على الذات العربية و حفَّزها للتجرد من أشكال كيانها بما فيها اللغة التي ترسم هوية هي عين ذاتها لا تتغير و لا يختلط بها غيرها)) [12] ؛ ما أوقعها في الانفصال عن اللغة العربية ، مرَّة بلحاظها الجمالي ، و مرَّة أخرى بلحاظ سلامتها . و من جهة أخرى يكون هذا الانفصال انفصالا فكريا ؛ ذلك بأنَّ الذات التي تستعمل هذه اللغة أو تلك تكشف بطبيعة الحال عن معرفتها من خلال التمازج بين اللغة و الروح الإنسانية [13] بفكرها و مشاعرها .

و إذا كانت المنهاجية التداولية تقوم على كل ما من شأنه أن يدخل في ((دراسة طريقة التواصل و الاتصال من وجهة نظر المستعملين لها و لا سيما عند اختيار نظم تراكيب التواصل)) [14] ؛ فإنَّنا مع النظر اللغوي التأريخي نكون أمام التداولية التأريخية واقعا لغويا و منهجا يدرس هذا الواقع اللغوي في ضوء مقوماته التعبيرية وصولا إلى امتداده التأريخي مرورا بما طرأ من تغيرات في سياق بناء العبارة و نظامها الدلالي . و هذا يتساوق مع تكوينات المنظومة اللغوية المتمثلة في ((النحوية التي تحيل إلى علاقات العلامات فيما بينها لإعطاء القواعد المكونة و قواعد تحويل التعبيرات إلى تعبيرات أخرى ، و المقاربة الدلالية التي تعالج علاقة العلامات و الكلمات و الجمل بالأشياء و بحالات الأشياء ، فترتبط بالمعنى و المرجع و الحقيقة ، ثم المقاربة الثالثة النفعية التي تدرس العلامات و علاقاتها بمستعمليها ، و هي نظم التداول بين الأفراد)) [15] ، على نحو قصدي تأثيري .

تفاعلية القول الظنِّي :

سعت الكلامية العربية في توظيفها لفعل القول إلى إجرائه مجرى أفعال الظن ، من خلال نصبه لمفعولين ؛ إذ يُروى أنَّ شاعرهم يقول : [16]

أ جُهَّالا تقول بني لؤيّ لَعَمر أبيك أم متجاهلينا

و هذا الاستعمال ينصب بفعل القول المفعولين " بني لؤيّ " و " جُهَّالا " . و من الملاحظ أنَّ التحول بفعل القول إلى فعل ظنِّي ينسجم في هذا السياق مع المغزى الاستفهامي

الذي يحكم هذا الحدث الكلامي ؛ فيؤسس لاشتغال فكري توقعي ظنِّي لا يخلو من محاولة الطلب من القائل أن يُعيد النظر في قوله الظنِّي هذا .

أمَّا بنو سُليم و هم من القبائل العربية الموثوق بفصاحتهم فيجرون القول مجرى الظن مطلقا [17] . يقول شاعرهم : [18]

قالت و كنتُ رجلا فطينا هذا لَعَمر الله إسرائينا

جاء هذا الاستعمال النحوي ليفارق الاعتياد في المنظومة النحوية العربية ، و يؤسس لتداولية مخصوصة ببني سُليم ؛ لذلك فهو يتطلَّب موقفا تحليليا يفسر هذا الانزياح القولي الذي قدَّم فعلا قوليا ظنيا من خلال نصب المفعولين " هذا " و " إسرائينا " . و على الرغم من أنَّ هذا الانزياح هو انزياح نحوي ، غير مع أنَّ التحليل المفسِّر له ينبغي أن يتخطَّى المقولة النحوية إلى المقولة الدلالية ؛ ذلك بأنَّ التداول السُّلمي لفعل القول في حقيقة الأمر لا يقتصر على المعطيات النحوية بل يشتمل على معطيات دلالية تواصلية ، و لعلَّ المعطيات الدلالية هي ما تقف وراء هذه الخاصة الكلامية السُّلَمية . فإنَّنا نجد سُليما تعبر بهذا التوظيف الإطار النحوي إلى الأفق الدلالي من خلال خلق جو ظنِّي انفتاحي يستوعب النظر الموحي فكريا و عقليا . و غير بعيد عنَّا و نحن في السياق التحليلي التفاعلية الكلامية المحيطة بهذا الحدث الكلامي ؛ إذ يُنقل أنَّه قيل في سياق يحتفل فيه أعرابي أن صاد ضبيا . و هذا السياق الاحتفالي يشي الحدث الكلامي المعبِّر عنه بحالة من النشوة ، ما يتطلَّب كثيرا من الذهنية و الخيالية ؛ فجاء القول الظنِّي ليضمن مثل ذلك .

و اللافت أنَّ سياق الاستعمالين المتقدِّمين اللذين تضمَّنا قولا ظنِّيا يوحي بالتعجب ، و هو قد اشتمل على القسم ؛ ما يعني أنَّ أمرا ذهنيا مهيمنا على العبارة اللغوية و لا يخفى اتصال ذلك بالتحول الظنِّي .

و ما وجد عند بني سُليم نجده في التداولية العربية الحديثة من استعمال لفعل القول و انصرافه مطلقا إلى الدلالة على الرأي و الاعتقاد ، كما في قولهم : " شنو قولك " ؟ ، أو " شو قولك " ؟ أو ما هو بمعناها . و الملاحظ أنَّ أكثر ما يستعمل من فعل القول يأتي للدلالة على الظن ؛ ما مثَّل موقفا تداوليا فكريا يوسِّع من مظان التعبير عن الرأي في المنظومة الكلامية الحديثة ؛ فيخلق من جهة أخرى ميلا نحو التداول الفكري ، و السعي نحو الاحتواء الدلالي المتمثِّل في صياغة فعل القول صياغة ظنية احتمالية بعيدا عن المعطيات النحوية الشكلية المتعلِّقة بنصب المفعولين . و هذا يتوافق مع ما عليه التداول في اللهجية العربية الحديثة التي اشتغلت على أساس من تعطيل العمل النحوي و الاقتصار على العلائقية الدلالية بين كلمات العبارة النحوية .

و يظل التفسير الدلالي لهذا الحدث الكلامي متطلِّعا إلى أنَّ المغزى يمكن أن يكون متمثِّلا في توسيع دائرة الظن ، و كأنَّ المنظومة الفكرية التي تحكم تفكير هذه الجماعة اللغوية قد تكون – و لو على نحو التظاهر - منظومة مرنة تمتاز بمظاهر الانفتاح و التنوع .

و لعلَّ للبيئة الساحلية التي تسكنها سُليم [19] أثرا في طبع التفكير اللساني عند هؤلاء بطابع التوسع الظني رغبة في استيعاب مجموعة متنوعة من الاحتمالات و الرؤى و الأفكار على مستوى التفكير و السلوك الفردي ، و ما لذلك من ارتباط بتنوع المعطيات الذهنية التي تحكم التفكير العقلي الذي يعتني بمسائل التوقع و الاحتمال ، و إشغال الخيال بعيدا عن التطرف الفكري . أمَّا على صعيد اللهجية العربية الحديثة فإنَّ للمدينة أو البيئة المختلطة الريفية المدنية التي تسكنها الشعوب العربية أثرا في مسألة الانحسار الظنِّي و استعمال القول للدلالة عليه أكثر من غيره من الدوال الظنِّيَّة . و مع ذلك فإنَّ لتمسك اللهجية الحديثة بظنِّيَّة القول وحيا بسعي الجماعات اللغوية العربية الحديثة و توقها في بناء الذات و الفكر الجمعي إلى الانحياز إلى مظاهر التنوع ، و التسامح ، و التأسيس لقبول الآخر و خلق فكر متجدد يتماهى مع متطلبات التطور . و يشير من جهة ثانية إلى تنوع الآليات و التقنيات التي تُعتمد في طرائق

التفكير و النظر في الأمور إلى الحد الذي صار القول بجميع فعالياته و مظاهره رأيا و تفكيرا و اشتغالا عقليا . و كأنَّنا أمام جماعة لغوية عقلية أكثر من كونها عاطفية .

و هذا يؤكِّد مسألة مهمة هي تحول الذات العربية أو صانع الحدث الكلامي العربي إلى إنسان ذي خلال مادية تبتعد عن الآفاق الروحية الجمالية ؛ فيأتي دور المنهاجية التأريخية لتؤكِّد ذلك من خلال الكشف عن أنَّ اللهجية العربية الحديثة نتجت عن مجموعة من تغيرات صوتية ، و تعطيل دلالي ؛ ذلك بأنَّ المتكلم صار يتعاطى مع دليل لفظي واحد لكل معنى ، ما أحدث انحسارا دلاليا ، و عدم توظيف للثراء اللغوي الذي تمتلكه العربية على المستوى الدلالي . و يمكن أن يكون مرد ذلك إلى أنَّ الإنسان اليوم إنسان مادي يبتعد نوعا ما عن المعطيات الروحية و المعنوية ؛ فقد تحولت اللغة بين يديه إلى أداة للتواصل ، أداة من الأدوات التي يحقق بها حاجاته اليومية ، في حين كان الإنسان التراثي إنسانا يعيش باللغة جميع عوالمها فيهتم بها أيَّما اهتمام فهو إنسان جمالي . و على الرغم من ذلك فإنَّ لنشأة اللهجية العربية الحديثة مجموعة من التفسيرات المفترضة يذكرها الدارسون منها ((الرأي الذي يفترض أنَّها منحدرة من العربية الفصحى ، و الرأي الذي يفترض أنَّها منحدرة من اللهجات العربية القديمة ، و الرأي الذي يرى أنَّها منحدرة من لهجة وسيط نشأت بين جنود الفتح الإسلامي في الأمصار)) [20] . و يبدو أنَّ رأي الدكتور إبراهيم أنيس المتمثِّل في أنَّها انحدرت من اللهجات العربية القديمة أوفر قبولا ؛ ذلك بأنَّه يتوافق مع معطيات التحليل اللغوي التأريخي من جهة ، و لأنَّه يستلزم أن تكون العربية الفصحى ممثَّلة في مجموعة من اللهجات ، فالملاحظ ((أنَّ لهجات الكلام في البلاد العربية لا تزال تحتفظ بعناصر قديمة كانت شائعة في لهجات العرب قبل الإسلام . فاللهجات الحديثة و إن كانت قد تطورت في البيئات العربية المختلفة تطورا مستقلا باعد بينها ، و صبغها بصبغة محلية في بعض ظواهرها ، قد استمسكت بكثير من السمات التي عرفت عن القبائل القديمة)) [21] .

و قول بني سُليم و ما عليه اللهجية العربية اليوم يمثِّل مظهرا من مظاهر الجمالية و المادية في آن واحد ؛ ذلك بأنَّ التنوع و عدم التقيد هو معطى روحي جمالي تتجلَّى فيه حالة البوح و الانفتاح من جهة ، و يمكن أن يمثِّل إطارا ماديا تتجلَّى فيه سمة عدم المبالاة و إهمال الرأي الآخر على الرغم من ذكره . و الابتعاد عن التعدد و التنوع و لا سيما في اللهجية العربية الحداثية ؛ لأنَّها عطَّلت أفعال الظن الأخر و اكتفت بالقول الظنِّي ، و هذا يعني أنَّها ضيَّقت دائرة الظن و الاحتمال و التنوع ، و لعلَّ هذا مرتبط بالتفكير الجمعي ، و غياب حالة حرية الرأي ، و ممارسة كبت الحريات .

و هذا يعني أنَّنا بالمنهج التأريخي نستطيع التدليل على عدم ابتعاد اللهجية التداولية المعاصرة عن العمق التأريخي للعربية من خلال الكشف عن الامتداد التأريخي لهذه الخصيصة اللهجية . ما يدلل على صلة معمَّقة بين الواقع اللغوي التداولي و التراث اللغوي العربي . و كذلك نستطيع من خلال اعتماد المظاهر اللغوية معرفة سمات الإنسان العربي و مجتمعه ، و ذلك بمعونة المنهج التأريخي و معطياته الفكرية . و هذا من صميم عمل المحلل اللغوي في ضوء المنهج التأريخي ، فإنَّه ((يبحث في تطور اللغة و حياتها في المجتمع و الظروف التي مهَّدت لذلك ، و أثره في بنية اللغة)) [22] . و يأتي التطور اللغوي على نحو تفاعلي مع المؤسسة المجتمعية [23] ؛ فيأتي النظر اللغوي التأريخي بفاعليته المستمرة [24] ، متوخيا عدم عزل التغيرات اللغوية عن الأحداث التأريخية التي تعاصرها [25] .

و إذا أردنا أن نمضي بعيدا ؛ فسيكشف المنهج التأريخي عن الثراء الدلالي الذي تتمتَّع به العربية من خلال الموازنات التي تحدث إذ يظهر جليا أنَّ جمالية كبرى ضاعت . و عند مزوالة البحث التأريخي أو البحث في ضوء معطيات المنهج التأريخي سنسحب تدريجيا بعضا من الألفاظ التي تعطَّلت إلى واقع الاستعمال التداولي ، و كلَّما كثرت الأبحاث كثرت الألفاظ التراثية المستقدمة ؛ فنكون أما منهج تأريخي يقدِّم خدمة كبرى للعربية من خلال إحياء استعمال طائفة من ألفاظها . و جعل الباحث يقف عن كثب على الواقع اللغوي التراثي المكتنز

بـالثراء الـدلالي ... و ذلـك كلُّـه يـدفع نحـو الإنتهـاء عمليـا إلـى علـو اللهجيـة التراثيـة وجماليتهـا بالموازنة باللهجية الحداثية . مـع لحـاظ أنَّ مـا فعلـه اللغويون التراثيون عندما منعوا البحث في اللهجات المتطورة المتغيرة ضيَّعوا هدفهم في الحفاظ علـى العربيـة العاليـة . موازنـات الحدث الكلامي بحدث كلامي يُقاربـه تجعل المتكلِّم ينحـاز تـدريجيا إلـى اللهجيـة التراثيـة ، و إلـى اللغة العالية على المستوى الدلالي بثرائه و تنوعه الرائـع ؛ فنكـون فـي نهايـة المطـاف أمـام منـهج تأريخي حضاري .

الهوامش و المصادر :

---

[1] - الفلسفة الألمانية الحديثة ، روديجر بوبنر 81 .

[2] - التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي ، د. مسعود صحراوي ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت 2005 ، ص 21 .

[3] - ينظر . التداولية واقعية لغة أم تواصلية تركيب ؟ ، د. سمير الخليل ، ضمن كتاب بحوث اللغة العربية و تحديات العصر ، ط1 ، جامعة الكوفة – كلية التربية الأساسية 2012 ، ص 1/ 183 – 184 .

[4] - ينظر . دليل الناقد الأدبي ، ميجان الرويلي ، و سعد البلاغي ، ط2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء 2000، ص 100 .

[5] - ينظر . التداولية واقعية لغة أم تواصلية تركيب ؟ 1/ 183 .

[6] - ينظر . آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د. أحمد محمد نحلة ، دار المعرفة ، الأسكندرية 2002 ، ص 9 ، المقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو ، ترجمة : سعيد علوش ، مركز الإنماء العربي ، الرباط 1986 ، ص 13 ، التداولية واقعية لغة أم تواصلية تركيب ؟ 1/ 183 – 184 .

[7] - التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي 16 – 17 .

[8] - ينظر . التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي 32 – 44 ، التداولية اليوم – علم جديد في التواصل ، آن روبول ، و جاك موشلار ، ترجمة : د. سيف الدين دغفوس ، د. محمد الشيباني ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت 2003 ، ص 53 – 57 .

[9] - التداولية واقعية لغة أم تواصلية تركيب ؟ 1/ 184 .

[10] - أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية – تأسيس " نحو النص " ، محمد الشاوش ، ط1 ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس 2001 ، ص 1 / 93 .

[11] - التداولية واقعية لغة أم تواصلية تركيب ؟ 1/ 187 .

[12] - انفصال الذات العربية عن لغتها – هويتها ، سحر هادي سعيد شبر ، ضمن كتاب بحوث اللغة العربية و تحديات العصر ، ط1 ، جامعة الكوفة – كلية التربية الأساسية 2012 ، ص 3/ 235 .

[13] - ينظر . نصوص فلسفية مختارة ، أرمان كوفيليه ، ترجمة : آلاء سعد فخري ، ط1 ، بيت الحكمة ، بغداد 2006 ، ص 210 ، انفصال الذات العربية عن لغتها – هويتها 3/ 238 .

[14] - المقاربة التداولية 31 .

[15] - المقاربة التداولية 8 .

[16] - الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت 1991 ، ص 1/ 123 .

[17] - ينظر . الكتاب 1/ 124 ، أثر اللهجات العربية في الدراسات النحوية و القراءات القرآنية ، نهى حازم سليمان الحلي ، ط1 ، دار الفرات ، بابل ، العراق 2010 ، ص 139 .

[18] - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب للطباعة و النشر ، جامعة الموصل ، ص 2/ 110 .

[19] ينظر . الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل و اللغة الموحدة ، د. هاشم الطعَّان ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1978 ، ص259 .

[20] علم اللغة الاجتماعي ، د. محمد حسن عبد العزيز ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة 2009 ، ص 305 .

[21] في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس ، ط8 ، مكتبة الأنجلو المصرية 1992 ، ص 339 .

[22] علم اللغة المعاصر مقدمات و تطبيقات ، د. يحيى عبابنة ، د. آمنة الزغبي ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن 2005 ، ص 136 .

[23] ينظر . نظرية الأدب و اللغة عند سلامة موسى ، د. بارك جاي وون ، تقديم : د. عبد المنعم تليمة ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة 2007 ، ص 239 .

[24] ينظر . مقدِّمة في علم اللغة العربية ، د. علي زوين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بغداد 2011 ، ص73 .

[25] ينظر . المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1997 ، ص 197 .